يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى الآية لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدم في شريعة كل نبي
مكان صلواتهم لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه
وسلم المساجد ولينصرن الله من ينصره أي ينصر دينه ونبيه إن الله لقوي عزيز أي على نصر من ينصر دينه ونبيه
عزيز أي لا يضام ولا يمنع مما يريد قوله عز وجل الذين إن مكناهم في الأرض أي نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا
في البلاد أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ثم جميع هذه الأمة وقيل هم جميع المهاجرين وهو الأصح لأن قوله الذين إن مكناهم في الأرض صفة لمن تقدم
ذكرهم وهو قوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وهم المهاجرون ولله عاقبة الأمور أي آخر أمور الخلق مصيرها
إلى الله وذلك يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور كلها له بلا منازع قوله تعالى وإن يكذبوك فيه تسلية وتعزية
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى إن كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم
لوط وأصحاب مدين وكذب موسى **فإن قلت** لم قال وكذب موسى ولم يقل قوم موسى
قلت فيه وجهان أحدهما أن موسى لم يكذبه قومه وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم
القبط الثاني كأنه قيل بعد تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا ومع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره
فأمليت للكافرين أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم ثم أخذتهم أي عاقبتهم فكيف كان نكير أي إنكاري عليهم
ما فعلوا من التكذيب والعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسوله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل
فكأين من قرية أهلكناها وقرئ أهلكتها على التعظيم وهي ظالمة أي وأهلها ظالمون فهي خاوية أي ساقطة
على عروشها أي سقوفها وبئر معطلة أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها وقصر مشيد أي
رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر
في سفحه ولكل منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل إن هذه البئر
كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك أن أربعة آلاف ممن آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب
أتوا إلى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا
حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فأقاموا دهرا وتناسلوا حتى كثروا وعبدوا الأصنام
فأرسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطلت
بئرهم وخرب قصرهم قوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض يعني كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من
الأمم الخالية فتكون لهم قلوب يعقلون بها أي يعلمون بها أو آذان يسمعون بها يعني ما يذكر لهم من أخبار الأمم القرون
الماضية فيعتبرون فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى أن عمى القلب هو الضار في أمر الدين
لا عمى البصر لأن البصر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث
ولن يخلف الله وعده أي أنه أنجز ذلك يوم بدر وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون قال ابن عباس
يعني يوما من أيام الآخرة يدل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا
يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك
مقدار خمسمائة سنة أخرجه أبو داود بزيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى الآية أنهم يستعجلون بالعذاب
وإن يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة فكيف يستعجلونه وقيل معناه أن يوما عنده وألف سنة في الإمهال
سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلونه من العذاب وتأخيره
وهذا معنى قول الآية وكأين من قرية أمليت لها أي أمهلتها وهي ظالمة أي مع استمرار أهلها على الظلم ثم أخذتها أي أنزلت

٨٠

٢٠٧

بهم العذاب وإلي المصير يعني مصيرهم في الآخرة ففيه وعيد وتهديد قوله عز وجل قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين
أمر الله رسوله أن يديم لهم التخويف والإنذار وإنما يقول لهم إنما بعثت منذرا فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
ورزق كريم لما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقول إنما أنا نذير مبين أردف ذلك بأن أمر بوعد من آمن ووعيد من عصى
فقال فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة أي ستر لصغائر ذنوبهم وقيل للكبائر مع التوبة والرزق الكريم
لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة قوله تعالى والذين سعوا في آياتنا أي عملوا في إبطال آياتنا معاجزين أي مثبطين
الناس عن الإيمان وقرئ معجزين أي معاندين مشاقين وقيل معناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا ويفوتوننا
فلا نقدر عليهم بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار أولئك أصحاب الجحيم قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم تولي قومه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله
ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قرأ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك
الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين
فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فإنهما أخذا حفنة
من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما لأنهما كانا شيخين كبيرين ولم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم
ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق ولكن
آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإن جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل
فقال يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حزنا شديدا وخاف من الله خوفا شديدا كثيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزيه بقوله عز وجل وكان ربك رحيما
وسمع بذلك من كان في أرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد أسلمت
قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا دنوا إلى مكة فبلغهم أن الذي
كانوا يحدثون به من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار ومستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت
قريش ندم محمد على ذكر منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك فازدادوا شرا إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم قال الله تعالى وما أرسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الرسول هو الذي يأتيه جبريل بالوحي عيانا والنبي هو الذي تكون نبوته إلهاما أو مناما
فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته أي أحب شيئا واشتهاه وحدثت به نفسه ما لم
يؤمر به ألقى الشيطان في أمنيته أي في مراده قال ابن عباس إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلا
والمعنى ما من نبي تمنى أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان
وقال أكثر المفسرين يعني ما تمنى قرأ وتلا كتاب الله ألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته وقال حسان في عثمان
حين قتل تمنى كتاب الله أول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر **فإن قلت** قد قامت الدلائل على
صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا
سهوا ولا غلطا قال الله تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه **قلت** ذكر العلماء

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1